نماذج من (تاريخ بغداد) للخطيب

*مبحث فى* دراسات فى تاريخ الرواة وطبقاتهم

*إعداد / شيماء عبد المجيد محمد زهران*

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

شاه علم - ماليزيا

*shaimaa.abdelmajeed@mediu.ws*

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى نماذج من (تاريخ بغداد) للخطيب
الكلمات المفتاحية – ألفت ، الطبعة ، المعجم**

**المقدمة.I**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة نماذج من (تاريخ بغداد) للخطيب**

 **.عنوان المقالII**

**دراسة نماذج من الكتب التي ألفت في علماء البلدان، ونبدأ بـ(تاريخ بغداد).**

**و(تاريخ بغداد) طبع أكثر من طبعة وآخرها تلك الطبعة التي حققها الدكتور بشار عواد معروف، بعنوان (تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها)، وهو للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي الذي ولد سنة ثلاثمائة وثنتين وتسعين، وتوفي سنة أربعمائة وثلاث وستين من الهجرة، وقد رتب الخطيب كتابه على حروف المعجم في الأسماء، واعتمد الاسم الأول للمترجم فقط، فإذا كان في المترجمين بهذا الاسم كثرة مثل: المحمدين، والأحمدين، والعليين، ونحوهم رتبهم بحسب أسماء آبائهم على حروف (المعجم) أيضًا، وذكر لكل ذلك أبوابًا ثم عناوين.**

**فقال مثلًا: ذكر من اسمه محمد ابتداء اسم أبيه حرف الألف، وربما اضطر في بعض الأحيان إلى ترتيب أسماء الأجداد على حروف (المعجم) في أحايين قليلة، حينما تكثر الأسماء في العنوان الواحد، كما فعل فيمن اسمه محمد واسم أبيه أحمد؛ فقال: وهذا ذكر من اسمه محمد واسم أبيه أحمد، جعلت ترتيبهم على حروف (المعجم) من أوائل أسماء أجدادهم لتقرب معرفته، وتسهل طلبته، وذلك أن عدد تراجم من اسمه محمد واسم أبيه أحمد قد بلغ مائتين وستين ترجمة، وكذلك فعل فيمن اسمه أحمد واسم أبيه محمد، حيث بلغوا ثلاثمائة وثنتين وأربعين ترجمة عَدَا من لم يحفظ اسم جده؛ إذ أفردهم في موضع خاص، وفيما عدا ذلك رتب كل باب أو عنوان من هذه الأبواب والعناوين حسب قدم الوفاة، سواء أكان الباب والعنوان متضمنًا الاسم الأول فقط أم كان مرتبًا على الاسم الأول ثم اسم الأب، أم مرتبًا على اسم الأب واسم الجد بصرف النظر عن منزلته، ومن غير اعتبار لكبر سنه أو علو روايته.**

**وقد بين المصنف منهجه هذا في مقدمته لقسم التراجم؛ فقال: وكل من تقدمت وفاته بدأت بذكره دون غيره ممن مات بعده، وإن كان المتأخر أكبر سنًّا وأعلى إسنادًا إلا أن تتسع ترجمته في بعض الأبواب، فأرتب أصحابها على توالي حروف المعجم من أوائل تسمية الآباء، ومن شذ عني معرفة تاريخ وفاته ذكرته في أثناء أهل طبقته ممن عاصره.**

**يقول المحقق: ولذلك فإن قول صديقنا الدكتور العمري -حفظه الله تعالى-: ويبدو أنه راعى نظام الطبقات ضمن الحرف الواحد، وإن لم يصرح بذلك ولم يلتزم به دائمًا، لكننا نجده يبدأ بتراجم المتقدمين، ويقدمهم على المتأخرين ضمن الحرف أو الاسم الواحد... إلى أخره، هذا القول فيه نظر لما تقدم من تصريح المصنف بذلك، وإن وقع شيء من مخالفة ذلك في مواضع يسيرة على أن الخطيب بدأ تراجم كتابه بالمحمدين؛ إكرامًا لاسم سيدنا محمد، وهي عادة كانت معروفة متبعة من قبله استعمالها بعض العلماء الذين رتبوا كتابهم على حروف (المعجم) مثل الإمام البخاري في (تاريخه الكبير)، وغيره كما استعملها كثير ممن جاء بعده، ونحو ذلك البدء بمن اسمه أحمد من حرف الألف لسبب المذكور سابقًا، وهي طريقة معروفة قبل الخطيب أيضًا كما في كتاب (الجرح والتعديل) لابن أبي حاتم الرازي وغيره.**

**ومن هنا فإن المصنف حينما بدأ بمن اسمه محمد واسم أبيه إسحاق اعتذر عن ذلك بسبب المنزلة الرفيعة التي يحتلها ابن إسحاق عند المحدثين، فهو من أوائل العلماء الكبار الذين دفنوا ببغداد، وقد عبر عن ذلك بقوله: لم أر في جملة المحمدين الذين كانوا في مدينة السلام من أهلها والواردين إليها أكبر سنًّا وأعلى إسنادًا وأقدم موتًا منه، ولهذه الأسباب المجتمعة فيه افتتحت كتابي بتسميته وأتبعته بمن يلحق به من أهل ترجمته، ولولا ذلك لكان أول الأشياء تقديم ترجمة محمد بن أحمد على ما عداها من الأسماء؛ اقتداءً بما رسمه لنا أئمة شيوخنا، وحين انتهى المصنف من الأسماء أفرد بابًا للكنى قال فيه: هذا ذِكْر من عرف بكنيته ولم يذكر لنا اسمه، أو ذكر الاختلاف فيه ولم يتضح لنا الصواب، ونظرًا لقلة المترجمين بكناهم فقد رتبهم على الوفيات، وأتبعهم بمن لم يعرف اسمه ولا كنيته من نحو: أخ فلان، وعم فلان، ثم ترجم للنساء المذكورات بالفضل ورواية العلم، ورتب تراجمهن على الوفيات أيضًا لقلة عددهن.**

**أما عن عناصر الترجمة، فمما لا شك فيه أن المادة الموجودة في ترجمة ما تختلف عن الأخرى حسب طبيعة صاحب الترجمة، وقيمته العلمية أو الأدبية، أو منزلته السياسية من جهة، وما قد يتوفر من معلومات عند المصنف من جهة أخرى، ومن الطبيعي أن يجد الباحث اختلافًا بين محتويات ترجمة المحدث وترجمة السياسي أو الأديب أو المتكلم، وقد لا يستطيع الباحث -في بعض الأحيان- أن يقف على السمات العامة لمحتويات التراجم القصيرة التي لم تتوفر للمصنف عنها معلومات كافية على أننا في الوقت نفسه -هكذا يقول محقق الكتاب- نلاحظ تنظيمًا واضحًا في التراجم الحافلة قد يصل حدًّا أن يضع الخطيب عناوين لعناصرها.**

**لقد بين الخطيب في المقدمة التي كتبها للتراجم ما اجتهد أن تتضمنه كل ترجمة من عناصر؛ فقال: هذه تسميته، وما انتهى إليَّ من معرفة كناهم وأنسابهم، ومشهور مآثرهم وأحسابهم، ومستحسن أخبارهم، وأبلغ أعمارهم، وتاريخ وفياتهم، وبيان حالتهم، وما حفظ فيه من الألفاظ عن أسلاف أئمتنا الحفاظ من ثناء ومدح، وذم وقدح، وقبول وطرح، وتعديل وجرح.**

**ومع كل هذا الذي ذكرنا يمكننا تلمس منهج عام لطبيعة التراجم التي ذكرها الخطيب في تاريخه تتمثل في العناصر الآتية:**

**أولًا: الاسم، والنسب، والنسبة، والكنية، وما يعرف به المترجم.**

**ثانيًا: شيوخه الذين سمع منهم أو حدث عنهم.**

**ثالثًا: من روى عنهم من العلماء.**

**رابعًا: أقوال أئمة الجرح والتعديل بالنسبة للمحدثين والفقهاء، وآراء بعض النقاد بالنسبة لغيرهم.**

**خامسًا: حديث أو حكاية أو خبر رواه، أو شعر نظمه أو رواه.**

**سادسًا: مولده، ووفاته، ومكان دفنه.**

**وقد تتوافر هذه العناصر جميعها في ترجمة ما، وقد نجد توسعًا فيها يشمل جوانب أخرى في بعض التراجم الخاصة، وقد توجد طائفة منها، أو لا يتوفر من هذه العناصر إلا النذر اليسير حسب طبيعة المترجم، وكمية المعلومات المتوفرة عنه، ففي كثير من التراجم القصيرة لا نجد من عناصر الترجمة إلا القسم الأول، ثم الحديث لا سيما في الغرباء الذين قدموا بغداد ممن لم يلتقِ بهم المؤلف، ونقل ذلك من معجم شيوخ لأحد البغداديين، أو يكون قد وجد هذا الاسم في إسناد حديث فقط، وقد لا نجد في كل ترجمة إلا ذكر الإسناد الذي استخرج منه المصنف اسمَ صاحب الترجمة، والترجمة في مثل هذه الحالة قد لا تزيد عن السطر الواحد.**

**ولما كان الكتاب مرتبًا على الوفيات بعد الاسم الأول، أو بعد اسم الأب، أو بعد اسم الجد في القليل النادر، فإن المصنف لم يكن بحاجة ماسة إلى إصعاد النسب إلى أسماء كثيرة من آبائه ليحصل الفرق بين الأسماء، ومع ذلك وجدناه حريصًا على ذكر سلاسل طويلة من أسماء الآباء، وإصعاد النسب في كثير من التراجم التي تنتمي إلى أصول عربية، ولا سيما المترجمين من الخلفاء والأشراف من أبناء العباسيين، والعلويين، وأولاد الصحابة، وذوي البيوتات العريقة.**

**ويعنى المصنف بتحديد موقع سكن المترجم، إن كان من أهل بغداد، وربما حدد ذلك أيضًا لمن قدم من خارج بغداد واستوطنها، وعادة ما يسوق ذلك ملحقًا بالقسم الأول من الترجمة، أو بعد الانتهاء من الاسم والنسبة، نحو قوله: من أهل الجانب الشرقي كان يسكن في حريم دار الخلافة قريبًا من باب النوبي، وقوله مثلًا: كان ينزل بضرب الزعفراني، وهلم جرًّا.**

**ويبين المصنف مهنة المترجم أو وظيفته إذا وقع له ذلك عقيب الانتهاء من ذكر اسمه ونسبته، نحو قوله مثلًا: كان يورق بالأجرة، وكان أحد الشهود المعدلين، وكان يلي إمارة الحج والمسير بالناس إلى مكة، وكان يتوكل بين يدي القضاة، وكان خطيب الجامع بمدينة المنصور، وولي الحسبةَ ببغداد، وكان قاضي مصر، وغير ذلك كثير.**

**المراجع والمصادر**

1. **(علم رجال الحديث)**

**تقي الدين الندوي المظاهري، المدينة المنورة، مكتبة الإيمان، 1987م.**

1. **(علم الرجال وأهميته)**

**عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني, دار الراية للنشر والتوزيع, 1417هـ.**

1. **(علم طبقات المحدثين: أهميته وفوائده)**

**أسعد سالم يتم، مكتبة الرشد, 1994م.**

1. **(تاريخ خليفة بن خياط)**

**خليفة بن خياط الشيباني، تحقيق: أكرم ضياء العمري, بيروت، مؤسسة الرسالة, 1977م.**

1. **(الطبقات)**

**خليفة بن خياط الشيباني، الرياض، دار طيبة،1982م.**

1. **(التاريخ الكبير)**

**عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري، بيروت، دار الكتب العلمية، 1884م.**

1. **(الجرح والتعديل)**

**عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1952م.**

1. **(مناهج المحدِّثين في رواية الحديث بالمعنى)**

**عبد الرزاق بن خليفة الشايجي، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر، 1419هـ.**

1. **(الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين)**

**أحمد محرم الشيخ ناجي, مطبعة الصفا والمروة, 2001م.**

1. **(من روى عن أبيه عن جده)**

**الزين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا، تحقيق: فيصل الجوابرة، المعلا، الكويت، مكتبة ابن سعد محمد بن سعد، 1988م.**

1. **(الرواة من الأخوة والأخوات)**

**علي بن المديني أبو داود السجستاني، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، دار الراية للنشر والتوزيع، 1988م.**

1. **(الكنى والأسماء)**

**محمد بن أحمد الدولابي،حيدر آباد، دائرة المعارف النظامية، 1322هـ.**

1. **(طبقات الحنابلة)**

**محمد بن محمد بن الحسين البغدادي أبو يعلى الحنبلي، مطبعة السّنة المحمدية، 1371هـ.**

1. **(الطبقات الكبرى)**

**ابن سعد محمد بن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار بيروت للطباعة والنشر، 1405هـ.**